

الوحدة السادسة الغزو الثقافي

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الغزو الثقافي:

لغة: يراد به القصد والإرادة والطلب، يقال: غزا الشيء غزواً أي أرادته وطلبه، والغزوة ما غزى وطلب، ومغزى الكلام أي مقصوده والمراد منه، ويقال: غزا القوم أي قصدهم بالحرب والقتال^(١)

اصطلاحاً: تباينت آراء العلماء والمفكرين المعاصرين في تعريف الغزو الثقافي:

فمنهم من قال: (هو الوسائل غير العسكرية التي اتخذها أعداء الإسلام لإزالة مظاهر الحياة الإسلامية وصرف المسلمين عن التمسك بالإسلام مما يتعلق بالعقيدة وما يتصل بها من أفكار وأنماط وسلوك)^(٢)

ومنهم من قال: (هو قيام مجتمع ما أو حضارة بمحاولة لفرض ثقافتها على مجتمع آخر بنية الاعتداء والسيطرة والهيمنة)^(٣)

ومنهم من قال: (هو التغيير الجديد الذي حصل في استراتيجية أعداء الله الغزاة الذين تخلوا عن استعمار الأراضي واستبدالها باستعمار عقول وقلوب أصحابها)^(٤).

ومنهم من قال: (هو كل فكرة أو معلومة أو برنامج أو منهج يستهدف صراحة أو ضمناً تحطيم مقومات الأمة الإسلامية العقديّة والفكرية والثقافية والحضارية، أو يتحرى التشكيك فيها والخط من

(١) انظر: لسان العرب ٦/٦٢١. والمصباح المنير أحمد بن محمد الفيومي ص٢٦٦، دار الحديث بالقاهرة، ط الأولى ١٤٢١-٢٠٠٠.

(٢) المرتكزات الأساسية في الثقافة الإسلامية ص٣٠٠.

(٣) الثقافة الإسلامية مفهومها مصادرها خصائصها مجالاتها ص١٨١.

(٤) دراسات في الثقافة الإسلامية صالح نياي هندي ص٢٨، ط الثانية ١٩٨١م.

قيمتها وتفضيل غيرها عليها وإحلال سواها محلها في الدستور أو مناهج التعليم أو برامج الإعلام والتثقيف أو الأدب والفن أو النظرة الكلية للدين والإنسان والحياة^(١)

يتبين لنا من خلال التعريفات السابقة عدة أمور:

أولاً: أن تعريفات العلماء اختلفت، وذلك لأن الغزو الثقافي عنوان أُطلق في الثلث الأخير من القرن الرابع عشر الهجري على المؤامرات والمخططات الفكرية والثقافية التي تقوم بها المنظمات والمؤسسات الدولية والشعبية من أعداء الإسلام.

ثانياً: أن الغزو الثقافي يسعى لتحويل المسلمين عن دينهم تحويلاً كلياً، وتجزئتهم وتمزيق وحدتهم وإضعاف قوتهم لاستعمارهم فكرياً ثم استعمارهم سياسياً وعسكرياً واقتصادياً.

ثالثاً: ... أن الغزو الثقافي أخطر بكثير من الغزو العسكري، وذلك لأنه ينطلي على عامة المسلمين، بينما الغزو العسكري لا ينطلي على الدهماء من المسلمين.

المطلب الثاني: نشأة الغزو الثقافي:

بدأت ظاهرة الغزو الثقافي لبلاد المسلمين منذ فجر الإسلام، وكان دهاة هذا الغزو الماكر الخبيث هم اليهود، فقد واجهوا الإسلام في المدينة بجميع الوسائل للتأثير عليه بغية التحريف فيه، وللتأثير على مشركي العرب بغية صدهم عن الدخول في الإسلام، وللتأثير على المسلمين بغية إخراجهم من الإسلام^(٢)

لكن الدراسات التي قام بها الباحثون تشير إلى أن الغزو الفكري بدأ يأخذ طابعاً جديداً وشكلاً منظماً، حيث بدأت جهودهم تتوالى لدراسة سر قوة المسلمين ومكمن عزتهم، فعكفوا على دراسة حضارتهم وتراثهم العلمي، فدرسوا الكتب الدينية والعلمية واللغوية والتاريخية، وذلك بعد فشل

(١) الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام عبد الرحمن حبنكة الميداني ص ٥٠٧

(٢) انظر: أجنحة المكر الثلاثة عبد الرحمن حبنكة الميداني ص ٢٧، دار القلم بدمشق، ط الأولى ١٩٧٥.

الحروب الصليبية على بلاد المسلمين^(١) فقد جرد الغرب حملات صليبية غزت الشرق الإسلامي باسم الصليب وتحت رايته وكان وراء هذه الحملات رجال الكنيسة في أوروبا، وبالرغم من ضعف الأمة الإسلامية يومها إلا أنها انتفضت لما رأت أعداء الإسلام وهم يحملون الصليب، وبذل المسلمون الدماء رخيصة في سبيل الذود عن حياض الأمة وعقيدتها، فارتدت الحملات الصليبية على أعقابها خاسرة مدبرة ولم تعقب بعد معارك طاحنة استمرت قرنين من الزمان، وبرز يومها قادة عظام كنور الدين محمود بن زنكي التركي وصلاح الدين الأيوبي الكردي وغيرهما ممن قادوا جماهير الأمة إلى العزة والنصر. فأيقن حينها الصليبيون وغيرهم من أعداء الإسلام أنه مهما ضعفت الأمة الإسلامية لن يستطيعوا استئصال شأفتها والقضاء عليها عسكرياً، إلا إذا نالوا من ثقافتها وعقيدتها ووجدتها^(٢) ثم إن الغزو الفكري مر بمراحل عديدة تدرج من خلالها إلى أن وصل الغزو الفكري في هذه الألفية الثالثة إلى أعلى درجاته حيث تُستخدم الوسائل التكنولوجية الحديثة، وتأتي الولايات المتحدة الأمريكية في مقدمة الدول التي تسعى نحو السيطرة على دول العالم الثالث بل على العالم كله، وإذا كان هذا هو الدور الذي تمارسه أمريكا على المسرح الثقافي العالمي، فإن للصهيونية والماسونية نصيب الأسد في هذا الدور^(٣).

المطلب الثالث: أهداف الغزو الثقافي:

لقد حكى القرآن بإيجاز عما يختلج في صدورهم من الأهداف، قال تعالى: { وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَزُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتِطَاعُوا } (البقرة ٢١٧). وفيما يلي أهم هذه الأهداف:

أولاً: القضاء على الإسلام:

(١) انظر: الغارة على العالم الإسلامي شاتلية وترجمه للعربية محب البين الخطيب ص ٢٧، الدار السعودية بجدة، ط الثانية ١٣٨٧هـ.

(٢) انظر: أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي علي محمد خريشة ومحمد شريف الزبيق ص ١٦_١٧، دار الاعتصام بالمدينة، ط الثالثة ١٣٩٩-١٩٧٩.

(٣) انظر: الخطر الصهيوني على العالم الإسلامي ماجد الكيلاني ص ٢٤٠، الدار السعودية بجدة، ط الثالثة ١٩٨٤م.

أيقن أعداء الإسلام أن الإسلام يشكل خطراً كبيراً عليهم، لهذا حرصوا كل الحرص على عزل المسلمين عن دينهم وثقافتهم من خلال صرفهم عن تعاليم الكتاب والسنة، يقول أحد مؤسسي الاستعمار البريطاني في الشرق الأوسط وهو غلادستون: (ما دام هذا القرآن موجوداً فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق بل ولا أن تكون هي نفسها في مأمن)^(١)

ويقول وليم جيفورد بالكراف: (متى توارى هذا القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة التي لم يبعدة عنها إلا محمد وكتابه)^(٢)

وهذا يدل على سعيهم لتصفية قضية الإسلام، باعتباره كما يعتقدون الخطر الحقيقي الذي يهددهم، والعقبة الكئود التي تحول دون تحقيق أطماعهم في السيطرة على الكون والإنسان.

ثانياً: الطعن في الإسلام:

من أهدافهم الطعن في الإسلام من خلال الطعن في القرآن الكريم بأنه غير منزل من عند الله وإنما هو من عند محمد - صلى الله عليه وسلم - استمد تعاليمه من أهل الكتاب، ومن خلال الطعن في شخص الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - وفي سنته، متذرعين بما دخل فيها من وضع ودس متجاهلين جهود علماء الحديث في تنقية السنة من الشوائب، ومن خلال الطعن في الدين الإسلامي بأنه دين ملفق من الديانتين اليهودية والنصرانية^(٣)

ثالثاً: تمزيق وحدة المسلمين:

فقد أدركوا دور الإسلام في وحدة العالم الإسلامي، وأن هذه الوحدة تعتبر مصدر خطر وقلق على مخططاتهم ومشاريعهم، ومن هنا كان الجهد المتواصل لتمزيق العالم الإسلامي والقضاء

(١) انظر: الغزو الفكري وأهدافه ووسائله عبد الصبور مرزوق ص ١٥، رابطة العالم الإسلامي مكة المكرمة، ط الثالثة.

(٢) انظر: الثقافة الإسلامية مفهومها مصادرها خصائصها مجالاتها ص ١٨٣.

(٣) انظر: المرتكزات الأساسية للثقافة الإسلامية ص ٣١٢.

على وحدة المسلمين، وهذا ما صرح به المنصر لورانس براون حيث قال: (إذا اتحد المسلمون في إمبراطورية عربية أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطراً، أو أمكن أن يصبحوا أيضاً نقمة له، أما إذا بقوا متفرقين فإنهم يظلون حينئذ بلا وزن ولا تأثير)^(١).

رابعاً: إحياء النزعات الجاهلية:

أراد الغرب من وراء الغزو الثقافي إحياء النزعات والدعوات الجاهلية كالفارسية والفرعونية والفينيقية والقومية والاشتراكية والبعثية وغيرها، لهذا قاموا بإنشاء المتاحف لبعث التاريخ القديم في كل جزء من أجزاء العالم الإسلامي، وعمدوا إلى الأساطير القديمة فأحيوها على شكل مسرحيات وأفلام وقصص وأدب وأخذوا يلونون الحياة بتقاليد وعادات وشعارات مستمدة من الماضي السحيق، والهدف من ذلك كله ربط الحاضر بماضٍ قديم والتكرار لمقومات الحياة الإسلامية، حتى يعتقد المسلمون عدم صلاحية الإسلام لقيادة البشرية^(٢).

خامساً: إضعاف الوعي والتعليم:

وذلك من خلال التشكيك في قدرة اللغة العربية على مسايرة التطور العلمي لتظل الأمة العربية المسلمة عالية على مصطلحات الغربيين، ومن خلال التشكيك في قيمة الفقه الإسلامي ذلك التشريع الهائل الذي ما ترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، ومن خلال التشكيك في قيمة التراث الحضاري الإسلامي زاعمين أن الحضارة الإسلامية منقولة عن الحضارة اليونانية والرومانية، وأن العرب لم يكن لديهم إبداع فكري ولا ابتكار حضاري^(٣) لهذا عملوا على إضعاف الثقافة الإسلامية وتنقيف المسلمين بالثقافة الغربية، فلو نظرنا إلى الأغلبية العظمى من المسلمين لوجدنا أنهم يجهلون أساسيات الثقافة الإسلامية.

(١) انظر: الثقافة الإسلامية ثقافة المسلم وتحديات العصر ص ٢٣٨.

(٢) انظر: نظرات في الثقافة الإسلامية عز الدين التميمي وجماعة ص ٥١، دار الفرقان بالأردن، ط السادسة ٢٠٠٤-١٤٢٤.

(٣) انظر: المرتكزات الأساسية في الثقافة الإسلامية ص ٣١٢.

سادساً: نشر الإلحاد والإباحية والدعاية لهما:

لقد انصب جهد الغزو الثقافي على نشر الفساد والرذيلة وتفريغ المسلمين من كل القيم والأخلاق الإسلامية، واستخدموا في سبيل تحقيق هذا الهدف كل الوسائل الحديثة، حتى ينشأ جيل قادم على نمط لا يهتم إلا بشهواته وغرائزه.

المطلب الرابع: مؤسسات الغزو الثقافي:

للغزو الثقافي مؤسسات عديدة، وكل مؤسسة من هذه المؤسسات مستقلة بذاتها وأتباعها ومنهجها لكنها تجتمع على هدف واحد وغاية واحدة وهي محاربة المسلمين ثقافياً ودينياً واقتصادياً واجتماعياً، وفيما يلي أهم هذه المؤسسات:

أولاً: الإستشراق : الإستشراق هو التيار الفكري الذي تمثل في الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي والتي شملت حضارته وأديانه ولغاته وثقافته، ولقد أسهم هذا التيار في صياغة التصورات الغربية عن العالم الإسلامي معبراً عن الخلفية الفكرية للصراع الحضاري بينهما^(١) ثم إن حركة الإستشراق ولدت منذ أن دقت جيوش الفتح الإسلامي أبواب أوروبا فأخذ الأوروبيون يبحثون عن أسباب نهضة المسلمين وسر بلوغها هذا المجد فدرسوا علوم العرب المسلمين الشرقيين وكان من أوائل هؤلاء الراهب الفرنسي جربرت^(٢) وفي القرن الثامن توسعت حركة الإستشراق ونتج عن ذلك صدور العديد من المجالات المتخصصة في الدراسات الإستشراقية، وصحب ذلك الغارة على المخطوطات العربية، وشرائها من أصحابها الذين لا يدرون قيمتها أو سرقتها من المكتبات العامة ومن ثم نقلها إلى بلادهم^(٣).

ثانياً: التبشير:

- (١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة الندوة العالمية للشباب الإسلامي بالرياض ص ٣٣.
 (٢) الإستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم مصطفى السباعي ص ٨٩، محاضرة مطبوعة مع كتاب أجنحة المكر الثلاثة.
 (٣) الثقافة الإسلامية ثقافة المسلم وتحديات العصر ص ٢٤٤.

التبشير حركة دينية سياسية استعمارية بدأت بالظهور إثر فشل الحروب الصليبية بغية نشر النصرانية بين الأمم المختلفة في دول العالم الثالث بعامة وبين المسلمين بخاصة بهدف إحكام السيطرة على هذه الشعوب^(١).

والتبشير تعبير أطلقه رجال الكنيسة النصرانية على الأعمال التي يقومون بها لتتصير الشعوب غير النصرانية لاسيما المسلمين، ثم تحول هدف التنصير داخل الشعوب المسلمة إلى غاية التكفير وإخراج المسلمين عن دينهم ولو إلى الإلحاد والكفر بكل دين^(٢).

ولهذا فإن كثيراً من الباحثين والمحققين يرى أن الأولى أن تُسمى هذه الحركة بالتنصير لأنها لا تسعى للتنصير فحسب بل تريد أن ينسلخ المسلمون من الإسلام حتى يصبحوا بلا دين ولا قيم ولا أخلاق ولا صلة لهم بالله، وهذا ما صرح به صمويل زويمر وهو من رواد حركة التنصير في العالم الإسلامي حيث قال في مؤتمر القدس التنصيري عام ١٩٣٥م: (إن مهمة التبشير التي ندبتكم لها الدول المسيحية في البلاد الإسلامية ليست في إدخال المسلمين في المسيحية، فإن هذا هداية وتكريماً لهم، وإنما مهمتكم هي أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله وبالتالي لا صلة له بالأخلاق الحميدة)^(٣). وكان أول من تولى التنصير بعد فشل الحروب الصليبية في مهمتها هو ريمون لول، فقد تعلم العربية وجال في بلاد المسلمين ثم تتابعت بعده في القرن الخامس عشر الميلادي إرساليات التبشير إلى بلاد المسلمين^(٤).

ثالثاً: التغريب:

التغريب هو تيار كبير ذو أبعاد سياسية واجتماعية وثقافية وفنية يرمي إلى صبغ حياة الأمم

(١) انظر: الغزو الفكري أحمد السائح ص ٤٥، بحث مقدم لمؤتمر الفقه الإسلامي المنعقد في جامعة الإمام

محمد بن سعود بالرياض ١٣٩٦م. والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص ١٥٩.

(٢) انظر: أجنحة المكر الثلاثة ص ٥٠.

(٣) انظر: أجنحة المكر الثلاثة ص ٥٠.

(٤) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص ١٥٩.

بعامة والمسلمين بخاصة بالأسلوب الغربي وذلك بهدف إلغاء شخصيتهم المستقلة وخصائصهم المتفردة وجعلهم أسرى التبعية الكاملة للحضارة الغربية^(١).

ولفظ التغريب يطلق ويُراد به إيجاد عقلية جديدة تعتمد على تصورات الفكر الغربي ثم تحاكم الفكر الإسلامي من خلالها، وهو حملة موجهة نحو المسلمين تهدف إلى صبغ حياتهم باللون الغربي بحيث تغدو حياتهم صورة مطابقة للحياة الغربية في جميع المجالات^(٢).

ثم إن حركة التغريب من أخطر النتائج التي أعقبت الغزو الصليبي الجديد وما أعقبه من تبعية ثقافية للغرب، مما أشاع روح الانهزام الفكري وضياع روح الاعتزاز بالشخصية الإسلامية، لا سيما عند من يدعي الثقافة، فمعظمهم من إنتاج النظام التعليمي الثقافي الغربي، ومن أبرز هؤلاء طه حسين الذي دعا إلى اعتبار مصر جزءاً من الغرب فقال: (إن من السخف الذي ليس بعده سخف اعتبار مصر جزءاً من الشرق واعتبار العقلية المصرية عقلية شرقية كعقلية الهند والصين)^(٣) وقال أيضاً: (نريد أن نتصل بأوروبا اتصالاً يزداد قوة من يوم إلى يوم حتى نصبح جزءاً منها لفظاً ومعنى وحقيقة وشكلاً)^(٤).

رابعاً: العلمانية:

العلمانية هي فصل الدين عن الدولة وقيامها على أسس دنيوية متمثلة المصلحة المعتبرة عقلاً وعرفاً في مختلف شؤون الحياة^(٥). وهي حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس عن الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بالحياة الدنيا وحدها^(٦) وهي ترجمة لكلمة secularism (سيكلاريزم) والتي

(١) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص ١٥٩.

(٢) انظر: شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي أنور الجندي ص ١٣، المكتب الإسلامي، ط ١٩٨٧م.

(٣) مستقبل الثقافة في مصر طه حسين ٣٢/١، مطبعة المعارف بالقاهرة ١٩٣٨م.

(٤) مستقبل الثقافة في مصر طه حسين ٣٢/١، مطبعة المعارف بالقاهرة ١٩٣٨م.

(٥) الإسلام وقضايا العصر مجموعة من الأساتذة ص ٦٨، دار المناهج بالأردن، ط الأولى ١٤٢٠-٢٠٠٠م.

(٦) مذاهب فكرية معاصرة محمد قطب ص ٤٤٥، دار الشروق، ط الأولى ١٩٨٣م.

يوهم ظاهرها أن لها صلة بالعلم والمذهب العلمي، ولكن الحقيقة أنه لا علاقة لها بالعلم ولا بمعطياته، وترجمتها الصحيحة: اللادينية أو الدنيوية^(١).

نشأت هذه الدعوة في أوروبا مع بداية عصر النهضة وامتت أقطار العالم بتأثير الاستعمار والتبشير والشيوعية، وقد أدت ظروف كثيرة قبل الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩م وبعدها إلى انتشارها الواسع وتبلور منهجها وأفكارها^(٢). فهي حركة إذاً تقوم على نشر الإباحية والفوضى الأخلاقية، وإقصاء الدين وتحتيته عن واقع المسلمين في جميع نواحي الحياة. والناظر إلى واقع الأمة العربية والإسلامية يجد أن الفكر العلماني قد دخل بلاد المسلمين كلها، بل وأصبح أكثر زعماء الأمة يتبنونه في سياستهم الداخلية والخارجية.

المطلب الخامس: وسائل الغزو الثقافي وأساليبه:

لقد اعتمد الغرب في غزوه الثقافي على وسائل وأساليب عديدة، تساعدهم في تحقيق أحلامهم وأهدافهم، مبنية على المكر والخديعة، وفيما يلي نذكر أهم هذه الوسائل والأساليب:

أولاً: الإعلام:

لقد استخدم الغرب الإعلام كوسيلة من وسائل غزو ثقافة المسلمين، ولهذا لو نظرنا إلى الإعلام بشتى صورته وأشكاله سواء المقروء منه أو المسموع أو المرئي، سنجد انحلالاً فيه بشكل عام في القيم والأخلاق والمبادئ والمعتقدات باستثناء الإعلام الديني والسياسي النزوي.

فمن الملاحظات على الإعلام المعاصر:

نشر الرذيلة والفاحشة بين المسلمين من خلال الأفلام الخليعة والمسلسلات الساقطة والمسرحيات

(١) انظر: العلمانية وثمارها الخبيثة عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين ص ٦، دار الوطن بالرياض، ط ١٤١١ هـ، والعلمانية وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة سفر الحوالي ص ٢١، دار مكة، ط الأولى ١٤٠٢-١٩٨٢.

(٢) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص ٣٦٧.

نشر الرذيلة والفاحشة بين المسلمين من خلال الأفلام الخليعة والمسلسلات الساقطة والمسرحيات الوضيعة والغناء الماجن، عن طريق القنوات الفضائية والشاشات العنكبوتية، ولهذا توعده الله تعالى من نشر الفاحشة بعذاب شديد بقوله: { إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } (النور ١٩).

تبرج الكثرة الغالبة من مذيعات الأخبار ومقدمات البرامج، مع التمايل والتغنج في الأقوال والحركات، كل ذلك بهدف إشهار المراسلات والصحفيات والمصورات والمندوبات الإعلامية دعماً لمفهوم انفلات المرأة وتحررها من الضوابط الشرعية. وقد نهى الله تعالى عن التبرج فقال: { وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى } (الأحزاب ٣٣).

إظهار الشخصيات الدينية والتاريخية في مواقف غير مقبولة أو لائقة بناءً على رغبة المخرج أو المنتج، فلو نظرنا إلى أكثر الأفلام والمسلسلات التي تسمى بالدينية لوجدنا أنها لا تخلو من الإساءة للدين والتاريخ والقادة والعظماء، خاصة فيما يتعلق بوصف القادة والعظماء بأنهم أصحاب عشق وغرام بنساء فارس والروم وغيرهم، وفيما يتعلق بتغيير الحقائق التاريخية والتلاعب بها بما ينسجم مع الإخراج والإنتاج.

إشغال المسلمين عن طاعة الله إثارةً لمتابعة فيلم أو مسلسل أو مباراة لكرة القدم ونحو ذلك مما يروجون له بدعايات براقية، وهم بذلك يقدمون مشاهدة البرامج على طاعة الله تعالى وبذلك ينطبق عليهم قوله تعالى: { أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ عِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ } (الجاثية ٢٣).

يؤدي الإعلام إلى محبة كثير من الممثلين والممثلات والمغنيين والمغنيات واللاعبين واللاعبات، حتى تجرأ كثير من السفهاء فأطلقوا عليهم ألقاباً تتنافى مع العقيدة كلقب معبود الجماهير، وهل هناك معبود بحق في الكون غير الله تعالى، والمرء مع من أحب.

إن الإعلام يجر المسلمين إلى اتباع الكفار والفساق في أخلاقهم ومعتقداتهم ومناهج حياتهم، والتشبه بهم في ملابسهم وأشكالهم وأقوالهم وأفعالهم، وهذا ما حذر النبي - صلى الله عليه وسلم - منه كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما: (من تشبه بقوم فهو منهم)^(١).

إن معظم وسائل الإعلام المعاصرة جاءت إلينا عن طريق الغرب ولم تؤسس لها نحن، لهذا حققنا للغرب ما يريده لنا ويتمناه، وقد بين الله تعالى نوايا أهل الكتاب وغيرهم من أعداء الإسلام فقال: { وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ... } (البقرة ١٠٩).

نشر المبادئ والأفكار الهدامة كالعلمانية والاشتراكية والبعثية والقومية وغيرها من الأفكار والعقائد التي تتنافى وتتعارض مع العقيدة الإسلامية السليمة.

إن مليارات الدولارات ومئات الطاقات التي جندها الغرب لإدارة برامج البث وإيصالها للعالم كله وللمسلمين خاصة، وما كان ذلك حياً فينا، إنما لأجل مواجهة المد الإسلامي الذي يشكل خطراً على ثقافة الغرب، فأرادوا إشغال الأمة ببرامج قاتلة للوقت، وبين القرآن إنفاقهم هذا للصد عن سبيل الله فقال: { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُبْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُفْقَثُوهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ } (الأنفال ٣٦).

ثانياً: العولمة:

وهي نظام عالمي جديد يقوم على الإبداع العلمي والتقني وثورة الاتصالات بحيث تزول الحواجز والحدود بين الأمم والشعوب والدول ويمسي العالم وكأنه قرية صغيرة^(٢).

(١) أخرجه أبو داود في سننه-كتاب اللباس-باب في لبس الشهرة ٤/١٧٣٠ ح ٤٠٣١، تحقيق السيد محمد سيد وغيره، دار الحديث بالقاهرة، ط ١٤٢٠-١٩٩٩. وأحمد في مسنده ٥٠/٢ ح ٥١، تحقيق أحمد شاكر. والحديث إسناده صحيح، وقد صححه شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ٢٤٠/١، دار المسلم بالرياض، ط الخامسة ١٤١٥-١٩٩٤.

(٢) العولمة محمد سعيد أبو زعور ص ١٤، دار البيان بعمان، ط الأولى ١٩٩٨ م.

وهي أيضاً الدكتاتورية والتسلط القهري والفكري الذي ينادي بطمس الآخر وإنهاء ثقافته، لتبقى ثقافة واحدة هي الثقافة الأمريكية لفرض سيطرتها ونفوذها على العالم.

ولقد نشأت العولمة مع ظهور الثورة الصناعية في القرن الثامن عشر الميلادي، والعولمة من أخطر التحديات التي تواجه أمتنا العربية والإسلامية في هذا القرن، وتهدف إلى عدة أمور:

- طمس هويتنا واقتلاعنا من جذورنا التاريخية، وذلك من خلال إحلال الثقافة الغربية محل ثقافتنا الإسلامية، فالعولمة بالمفهوم المعاصر هي الأمركة التي تغزو المجتمعات بهدف القضاء على الإسلام، باعتباره أهم مقومات الحضارة والنهوض بثقافة الأمة^(١).
- الاستيلاء على اقتصاديات العالم عامة والأمة الإسلامية خاصة، عن طريق حصار الإنتاج القومي للدول الفقيرة والضعيفة، والقضاء على نظرية الاقتصاد الإسلامي^(٢).
- محاربة المناهج التعليمية والتربوية في العالم العربي والإسلامي، ومحاولة تغييرها إلى نموذج يتناسب وطبيعة الفكر الثقافي الغربي حتى يشب الأطفال على حب الثقافة الغربية وضعف الثقافة الإسلامية، ولهذا لو نظرنا إلى المناهج التعليمية في العالم الإسلامي خاصة فيما يتعلق بالتاريخ نجد أنها تشتمل على تاريخ هزيل يمجّد الحضارة الفرعونية واليونانية وغير ذلك من الحضارات، أما عن التاريخ الإسلامي والوطن العربي فإنه يُدرّس من كتب مغلوبة، وبهذا أصبحت المناهج التعليمية تفتقد الأصالة والشعبية والجماهيرية^(٣)، وهذا ما صرح به زويمر زعيم المبشرين النصارى عام ١٣٥٤هـ- ١٩٣٥م بقوله: (إن الهدف من السيطرة على البرامج التعليمية هو إعداد جيل لا يعرف الصلة بالله)^(٤).

(١) العولمة ومستقبل العالم الإسلامي فتحي يكن ص ٢٣، مؤسسة الرسالة بيروت، ط ١٤٢١-٢٠٠٠.

(٢) الثقافة الإسلامية ثقافة المسلم وتحديات العصر ص ٢٦٩.

(٣) انظر: نظم التعليم العربية بين واقعها ومحاولة تطويرها محمد منير موسى ص ١٤٢، مركز البحوث التربوية بجامعة قطر، ط الأولى ١٩٨٤م.

(٤) انظر: أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي ص ٦٣.

- التحكم في مراكز القرار السياسي في دول العالم لخدمة مصالحهم، وذلك من خلال السيطرة السياسية الكاملة على دول العالم الثالث بل وعلى العالم كله، فهي تولى أهمية كبيرة للمسارات الثقافية والأيدولوجية داخل المجتمعات وتعتبر نفسها قادرة على توجيهها حسب إرادتها بفضل الوسائل المادية الجديدة التابعة لها^(١).

- إلغاء النسيج الاجتماعي للشعوب وتدمير الهويات القومية والثقافية الخاصة لكل شعب، وتفتيت الدول وتحويلها إلى دول ضعيفة وكيانات هزيلة^(٢).

ثالثاً: إيجاد القيادات والزعامات الفاسدة:

لقد حرص أعداء الإسلام على السيطرة والهيمنة الكاملة على بلاد المسلمين، من خلال إيجاد قيادات وزعامات عربية وإسلامية تحكم البلاد وفق منهج علماني لا علاقة له بالدين. والهدف من وراء ذلك عدة أمور:

تتحية الإسلام عن واقع الحياة وترك التحاكم إليه عند النوازل والملمات، وإصدار قوانين وتشريعات وضعية يضعها ويقننها سفهاء البشر ممن يتولون أمر الناس. لهذا عاب الله تعالى على من يشرع للناس غير شرع الله تعالى فقال: { أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } (الشورى ٢١).

إضلال المسلمين عن سواء السبيل وذلك بنشر كل مظاهر الانحلال، واعتبار التمسك بالدين رجعية تتنافى مع الحرية الفردية في المجتمع، وقد بين القرآن الكريم أن غالب الحكام والزعماء يضلون أقوامهم عن الصراط المستقيم فقال تعالى: { وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا - رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنُتُمْ لَعْنَا كَبِيرًا } (الأحزاب ٦٧-٦٨).

(١) انظر: العولمة ومستقبل العالم الإسلامي ص ٢٣.

(٢) انظر: الثقافة الإسلامية ثقافة المسلم وتحديات العصر ص ٢٦٩.

تنفيذ المخططات الصهيونية والصليبية في العالم العربي والإسلامي، وذلك عن طريق حكام فجرة وأعوان لهم ظلمة، لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة، يحرصون على عروشهم وقروشهم وكروشهم. فإن الغرب لا يمكن له أن يمرر وينفذ سياسته ومخططاته إلا من خلال أناس هم أصحاب نفوذ وقرار في أقوامهم.

رابعاً: إثارة الشبهات:

لقد استخدم أعداء الإسلام أسلوب التشويه لحقائق الإسلام وذلك من خلال الشبهات التي أثيرت حوله، فشمّر العلماء والمفكرون عن ساعد الجد والاجتهاد فردوا على كل الشبهات معتمدين في ردودهم على مصادر الثقافة الإسلامية وخصائصها وفهمهم لها، وفيما يلي نذكر أهم الشبهات:

الشبهة الأولى: أن الإسلام دين التطرف والعنف والإرهاب والأصولية يدعوا للدمار والخراب، والهدف من هذه الفرية تشويه صورة الإسلام أمام الرأي العام العالمي من غير المسلمين خشية التأثير به، وأمام المنتسبين إليه ليضعف التمسك والعمل به^(١)

الشبهة الثانية: أن القرآن الكريم ليس من عند الله وإنما هو من عند البشر، فتارة يقولون هو من صنع محمد - صلى الله عليه وسلم - وأخرى أنه من صنع بحيرى الراهب، والهدف من ذلك التشكيك في شرعيته وصلاحيته لكل زمان ومكان^(٢).

الشبهة الثالثة: أن الثقافة الإسلامية مستمدة من الثقافة الرومانية والإغريقية، والهدف من ذلك بيان أن الثقافة الإسلامية غير ربانية المصدر، وبالتالي يشككون في مصداقيتها في بناء المجتمع والنهوض به^(٣).

(١) انظر: الغزو الفكري أهدافه ووسائله ص ٣٢.

(٢) انظر: الثقافة الإسلامية وتحديات العصر شوكت محمد عليان ص ٢٨٦، دار الشواف بالرياض، ط الثانية ١٤١٦-١٩٩٦.

(٣) انظر: المرجع السابق ص ٢٩١.

الشبهة الرابعة: أن الإسلام أباح لأتباعه التعدد في الزواج، وأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان رجلاً شهوانياً، يسير وراء ملذاته وإشباع رغباته، والهدف من ذلك الطعن في شخص النبي الكريم - صلى الله عليه وسلم -^(١).

الشبهة الخامسة: أن نظام الطلاق في الشريعة الإسلامية يهدد أمن الأسرة ويشتت شملها، ويمزق المجتمع ويؤدي إلى مشكلة التشرذم والانحطاط والجريمة وإلحاق الظلم بالمرأة، والهدف من ذلك التشكيك في مصداقية التشريع الإسلامي وصلاحيته في معالجة القضايا الاجتماعية^(٢).

الشبهة السادسة: أن الفقه الإسلامي وخاصة نظام العقوبات لا يصلح لأن يكون تشريعاً دائماً، وذلك لجمود أحكامه التي لا تتناسب وطبيعة العصر، ولا ينسجم مع معطيات الحضارة والمدنية، لما فيه من قسوة غير مألوفة في قطع يد السارق ورجم الزاني المحصن وجلد البكر وشارب الخمر ونحو ذلك من العقوبات، والهدف من ذلك تعطيل العمل بأحكام الشريعة الإسلامية^(٣).

الشبهة السابعة: أن الإسلام وما فيه من إيمان بالغيب والقدر يدعو إلى الإتكالية، أي التناقل والتواكل والكسل والتعلق بأهداب الغيب والعيش في سبحات الخيال بعيداً عن الواقع والحياة، والهدف من ذلك اعتبار الإسلام عبارة عن دين خرافي خيالي لا يتعاطى مع الحقائق العلمية والمعرفية من منطلق علمي منطقي^(٤).

الشبهة الثامنة: أن الإسلام في دعوته للخير والتخلي بالفضائل يعتمد على الترغيب بالثواب المؤجل في اليوم الآخر، وهذا يعتبر من قبيل المثالية في فعل الخير. والهدف من هذه الشبهة

(١) انظر: حقائق الإسلام وأباطيل خصومه عباس العقاد ص ٢٥٣، دار الكتاب العربي بيروت، ط الثالثة ١٩٦٦ م.

(٢) انظر: أبغض الحلال نور الدين عتر ص ٤٦، مؤسسة الرسالة بيروت، ط الثانية ١٤٠٣-١٩٨٣.

(٣) انظر: على طريق العودة إلى الإسلام محمد سعيد رمضان البوطي ص ١٢٣، مؤسسة الرسالة بيروت، ط الثانية ١٤٠٢-١٩٨٢. وشريعة الإسلام خلودها وصلاحتها للتطبيق في كل زمان يوسف القرضاوي ص ٦، المكتب الإسلامي بيروت، ط الأولى ١٣٩٣-١٩٧٣.

(٤) انظر: الإيمان والحياة يوسف القرضاوي ص ٢٩٥، مكتبة وهبة بالقاهرة، ط الأولى.

بيان أن الإسلام دعوة روحية بعيدة عن تلبية متطلبات الحياة المادية ولا يتعاطى مع الواقعية الوجودية^(١).

الشبهة التاسعة: أن المرأة في الإسلام لا قيمة ولا مكانة لها، فقد ظلمت في ظل الإسلام وانتُقص من قدرها، وذلك من خلال اعتبار شهادتها نصف شهادة الرجل، ونصيبها من الميراث نصف نصيبه، ودينتها نصف دينه ونحو ذلك^(٢).

إذاً هذه بعض الشبهات التي حاول الغرب عن طريق الغزو الفكري والثقافي لبلاد المسلمين أن يثيروها علّهم يجدون آذاناً صاغية تستجيب لها وتتأثر بها، والناظر والمتأمل لها بعقل وموضوعية يدرك زيفها وفسادها، دون الخوض في غمارها والرد عليها ففي المصادر المشار إليها ما يسمن ويغني من جوع ويشفي صدور قوم مؤمنين.

عوامل نهضة الثقافة الإسلامية في مواجهة الغزو الثقافي

يمكن لنا معشر المسلمين أن نواجه الحرب الباردة التي يشنها الغرب على بلاد المسلمين منذ قرون عديدة عن طريق الغزو الثقافي، وذلك إذا ما تم تشخيص الداء ومعرفة الدواء، والعمل الدؤوب من قبل علماء الأمة ومفكريها، وفيما يلي أهم العوامل المقترحة للنهضة بالثقافة الإسلامية في مواجهة التحديات الثقافية التي غزت العالم العربي والإسلامي:

المطلب الأول: إبراز معالم الحضارة والثقافة الإسلامية:

الحضارة الإسلامية هي نظام متكامل يشمل كل ما للإنسان من أفكار وآراء وأعمال وأخلاق في حياته الفردية أو العائلية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية، وهي مجموعة المناهج والقوانين التي قررها سبحانه وتعالى لجميع هذه الجوانب^(٣). وبعبارة أخرى هي تفاعل الأنشطة

(١) انظر: أجنحة المكر الثلاثة ص ٤٩٨.

(٢) انظر: الثقافة الإسلامية ثقافة المسلم وتحديات العصر ص ٣٤٤.

(٣) الحضارة الإسلامية أبو الأعلى المودودي ص ٢٨٨.

الإنسانية للجماعة الموجودة لخلافة الله في الأرض عبر الزمن وضمن المفاهيم الإسلامية عن الحياة والكون^(١).

لقد تركت الحضارة الإسلامية في سجل التاريخ صفحات لا تنسى، اعترف بها القاصي قبل الداني وأقر بها العدو قبل الصديق، لقد استطاعت الحضارة المنبثقة عن الثقافة الإسلامية في فترة وجيزة من عمر الزمن أن تقدم للعالم كله حضارة من أرقى الحضارات وتراثاً علمياً في جميع نواحي الحياة، لهذا كان لزاماً علينا معشر المسلمين مواجهة الغزو الثقافي بإبراز معالم الحضارة الإسلامية من جديد وبثوب جديد يتناسب مع طبيعة العصر ومتطلبات الواقع واحتياجاته، وذلك بتفعيل دور المعاهد والجامعات العربية والإسلامية في تدريس مساق يتحدث عمّا قدمه علماء الإسلام باختلاف تلويناتهم العلمية عن معالم الحضارة والثقافة الإسلامية، وكذلك بتفعيل دور الإعلام والمجلات في بث ونشر محاضرات علمية تبين للمسلمين خاصة وللعالم كافة ما أبدعه المسلمون الأوائل في شتى ميادين الحياة. وفيما يلي أذكر طرفاً من هذا التراث العلمي والحضاري:

أولاً: العلوم الشرعية الدينية:

لقد أبدع علماء الإسلام في جميع علوم الشريعة الإسلامية، ففي مجال التفسير وعلوم القرآن صنف الإمام الطبري كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، والقرطبي كتابه الجامع لأحكام القرآن، وابن العربي كتابه أحكام القرآن. وفي مجال الحديث الشريف وعلومه صنف الإمام البخاري ومسلم صحيحهما، والمزي كتابه تهذيب الكمال، وابن حجر العسقلاني كتابه فتح الباري. وفي مجال العقيدة صنف الإمام ابن تيمية كتابه منهاج السنة النبوية، والشهرستاني كتابه الملل والنحل، والبغدادي كتابه أصول الدين. وفي مجال الفقه وعلومه صنف الإمام ابن رشد كتابه بداية المجتهد، وابن قدامة المقدسي كتابه المغني، وابن حزم كتابه المحلى. وغير ذلك من

(١) مقدمات في الحضارة الإسلامية محمد علي ضناوي ص ١٨، مؤسسة الرسالة بيروت، ط الأولى ١٩٨٠م.

المصنفات والمؤلفات التي تعدُّ بالمئات والآلاف، مما هو موجود في المكتبات الإسلامية في العالم الإسلامي بالإضافة إلى المخطوطات والمفقودات.

ثانياً: علم الطب والصيدلة:

فقد اهتم المسلمون الأوائل بعلم الطب اهتماماً بالغاً، كان لهم فيه منجزات علمية عظيمة، وقد نبغ في الطب كثيرون أشهرهم أبو بكر الرازي الذي ألف كتاباً في الطب سماه (الحاوي) جمع فيه صناعة الطب، وأبو القاسم الزهراوي الذي كان له سبق الجراحة في الطب وإليه تعود صناعة آلات الجراحة واستخدامها، وابن النفيس الذي اكتشف الدورة الدموية^(١).

كما واهتم المسلمون بالصيدلة فهم أول من وضع أسسها وأنشأ مدارسها، وأبدعوا في مزج المواد الكيماوية في شكل أقراص ومحاليل، واكتشفوا العقاقير الطبيعية، وكان من أشهرهم ابن البيطار الأندلسي الذي قدم بحثاً في صفات المواد والنباتات والأعشاب^(٢).

ثالثاً: علم الكيمياء:

إن العلماء المسلمين هم الذين وضعوا أسس الكيمياء التي أسهمت في صناعات شتى كالورق والصابون والأصبغة والأدوية، كما اكتشفوا الكثير من الأحماض والأكاسيد كالكبريتيك وأكسيد الزئبق، واشتهر منهم في هذا المجال جابر بن حيان الذي كان له أكثر من مائة مؤلف في الكيمياء وإليه نسبت^(٣) لقد أبدع المسلمون في الفيزياء في علم السوائل والبصريات والميكانيكا،

(١) انظر: أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبية أحمد علي الملا ص ١٣٨، دار الفكر بيروت.

(٢) تاريخ الحضارة الإسلامية خلقي خنفر ص ٤٦٠-٤٦١، ط الأولى ١٤١٢-١٩٩١. وتاريخ العلوم عند العرب عمر فروخ ص ٢٩٤، دار القلم للملايين بيروت، ط الثالثة ١٩٨٠م.

(٣) انظر: الإسلام والحضارة منظمة الندوة العالمية للشباب المسلم ٧٨٩/٢، ط الأولى ١٩٨١م.

ومن أشهرهم في هذا المجال ابن الهيثم الذي كانت بحوثه سبباً في تقدم علم الضوء والبصريات، كما وكانت أساساً لكل الدراسات والأبحاث التي كتبها الأوروبيون وعلى رأسهم ديكارت ونيوتن^(١).

خامساً: علم الفلك:

لقد اتجه المسلمون إلى دراسة علم الفلك بناءً على توجيه القرآن الكريم أنظارهم إلى السماء وما فيها من أفلاك ونجوم وبروج، قال تعالى: { وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ } (البروج ١). وقال تعالى: { فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ } (الواقعة ٧٥). ثم إن حاجتهم الماسة إليه في الأساطيل البحرية والرحلات، ومعرفة أوقات الصلاة وصلاتي الكسوف والخسوف والأهلة وغيرها، هو الذي حملهم على خوض هذه الدراسة، واشتهر منهم في هذا المجال أبو الحسن الصوفي والبتاني^(٢).

سادساً: علم الرياضيات:

لقد حث القرآن الكريم على هذا العلم وذلك في قوله تعالى: { هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ... } (يونس ٥)، والمراد من الحساب العد والإحصاء. ويعتبر الخوارزمي أول من وضع علم الجبر في كتابه (الجبر والمقابلة)، والبتاني أول من اشتغل بعلم المثلثات، والكرخي أول من اشتغل بالحساب فألف كتابه (الكافي في الحساب)، والبيروني أول من اشتغل بعلم الهندسة^(٣).

سابعاً: علم النباتات والزراعة:

اهتم المسلمون بعلم النبات والزراعة دراسةً وتحليلاً وإنتاجاً حتى استفاد الأوروبيون من أبحاثهم ودراساتهم في هذا المجال، خاصة من كتاب الفلاحة الأندلسية لابن العوام الإشبيلي الذي يعدُّ

(١) انظر: العلوم عند العرب قدري طوفان ص ١٥٨، مكتبة مصر بالقاهرة، ط الأولى ١٩٧٧ م. وتاريخ الحضارة الإسلامية ص ٤٦٩.

(٢) انظر: أثر علماء العرب والمسلمين في تطوير الفلك علي عبد الله الدفاع ص ٥٢، مؤسسة الرسالة بيروت، ط الأولى ١٩٨١.

(٣) انظر: نظرات في الثقافة الإسلامية ص ٢٩١-٢٩٣.

موسوعةً زراعيةً تحدث عن فن الزراعة والحراث والغرس والسقي وتركيب السماد مما يلائم الأرض^(١).

ثامناً: علم الجغرافيا:

لقد برع المسلمون في علم الجغرافيا واهتموا به، والذي حملهم على ذلك الفتح الإسلامي وانتشار الإسلام في كثير من البلدان، ورحلتهم إلى الديار المقدسة وإدارة البلاد وتنظيمها، لهذا قاسوا المسافات بين البلدان ووصفوا مناخها وطبيعتها وبحارها وأنهارها ومنابعها وسهولها وجبالها، وتكلموا في طبقات الأرض وعلم المياه والبحار وعجائب مخلوقات الله فيها، كما وتحدثوا عن دوران الأرض وكرويتها، واهتمامهم هذا كان سبباً في نشأة علم الملاحة، وكان من أشهر علماء هذا الفن الإدريسي صاحب كتاب (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق)^(٢).

ما ذكر آنفاً عن الحضارة الإسلامية قليل من كثير آثرنا أن نذكر نماذج مما قدمه أسلافنا الكرام في شتى العلوم والمعارف، خاصة في القرون الهجرية الأولى، فقد حملوا المشعل الحضاري في هذه المرحلة من مراحل التاريخ الإنساني، فأضاء المسلمون يومها ظلمات عصوره الوسطى، وهذه الحقيقة اعترف بها الغربيون أنفسهم وأقر مؤرخوهم أن النهضة الحديثة في أوروبا تدين بوجودها لما تلقت من الشرق العربي الإسلامي الذي كان يقود البشرية يومها، والذي اكتسب هذه الحضارة من تعاليم الإسلام ومصادره، لهذا ينبغي على المسلمين بما أوتوا من طاقات وقدرات أن يعيدوا للحضارة الإسلامية مجدها التليد.

المطلب الثاني: تعريف المسلمين وغيرهم بعظمة الإسلام:

إن الإسلام عبارة عن نظام شامل متكامل لجميع نواحي الحياة، قال تعالى: { وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ } (النحل ٨٩). ففي هذه الآية القرآنية الكريمة دلالة صريحة على أن

(١) انظر: العلوم عند العرب ص ٢٩.

(٢) انظر: أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبية ص ١٧٢.

الإسلام دين شامل يعالج قضايا الناس كلها. وهو أيضاً دين متكامل لم يركز على جانب دون غيره، قال تعالى: { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا } (المائدة ٣). ففي الإسلام لكل عمل حكمه الشرعي، لهذا فالمسلم محاسب على كل عمل، قال تعالى: { فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّكَ أَجْمَعِينَ } (الحج ٩٢).

فلو نظرنا إلى الإسلام لوجدنا أنه يتحدث عن القيم والأخلاق والآداب الإسلامية فحث عليها ورغب فيها، كما وتحدث عن القيم الهابطة والأخلاق الساقطة فنهى عنها وحذر منها، وهذا ما يعرف بالنظام الأخلاقي. وتحدث عن علاقات الناس وتعاملاتهم المالية كالبيوع والديون والأمانات ونحوها، فضبطها وقيدها حتى يسلم المجتمع من كل معاني الغش والخداع والاستغلال، وهذا ما يعرف بالنظام الاقتصادي. وتحدث عن الأسرة ومكانتها في المجتمع، والعلاقة بين الزوجين، وبين الآباء والأبناء، وبين الأقارب والجيران، وهذا ما يعرف بالنظام الاجتماعي. وتحدث عن العلاقات التي ترتبط بالمنازعات والخصومات فقعد لذلك القواعد وسن الأحكام، وهذا ما يعرف بالنظام القضائي. وتحدث عن الجرائم كالقتل والسرقة والزنا وشرب الخمر، ورتب على بعضها عقوبات رادعة إما بإقامة الحد أو بالتعزير، ليعيش الناس آمنين على حياتهم وأموالهم وأعراضهم، وهذا ما يعرف بنظام العقوبات. وتحدث عن العلاقة بين الإمام والرعية في الدولة الإسلامية، وبين الدولة الإسلامية وغيرها من دول الجوار، ووضع لذلك أحكاماً عامة وخاصة، وهذا ما يعرف بالنظام السياسي. وغير ذلك من جوانب الحياة المتعددة فما ترك شيئاً إلا وبينه، قال تعالى: { وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَّمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ } (الأنعام ٣٨).

ولو نظرنا إلى هذه النظم الإسلامية المتعددة لوجدنا أنها تردُّ ضمناً على جميع الشبهات التي أثرت حول شرعية الإسلام وصلاحه لكل عصر وزمان، كما وتبين فساد النظم الغير إسلامية، والتي هي نتاج الغزو الثقافي الذي يريد أن يسيطر على دول العالم الثالث بشكل خاص وعلى العالم كله، فالنظم الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان لأن مصدرها هو الوحي المتمثل بكتاب

الله عز وجل ويسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم -، ومما يظهر عظمة الإسلام أيضاً أنه كرم الإنسان وأعطاه حقه كاملاً، قال تعالى: { وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً } (الإسراء ٧٠). كرمه بأن خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وأوقع له الملائكة ساجدين وعلمه أسماء الأشياء، وكرمه بأن جعله سيداً على المخلوقات كلها وسخرها له، وكرمه بأن خلقه في أحسن تقويم فجعل له السمع والبصر والفؤاد ليدرك ما حوله من الأشياء، وكرمه بأن منع الاعتداء عليه بأي صورة، وسان كرامته من الأذى بأي وسيلة، وتكفل بحفظ دمه واعتبر الاعتداء علي دمه بغير حق اعتداء على البشرية كلها، بل وحرّم الاعتداء على جزء منه من كسر سن أو فقء عين أو هشم أنف وجعل جزاء من يفعل ذلك المثل بالمثل، وبإيجاز كرم الإنسان بأن حافظ على دينه وحياته وعقله وعرضه وماله.

هذا هو الإسلام العظيم الذي جاء لسعادة البشرية كلها في الدنيا والآخرة، فقد أعز الله تعالى المسلمين الأوائل لما علموا قيمة الإسلام وعظمته، فأذل لهم الأكاسرة وأهان القياصرة، ودانت لهم البلاد وخضعت لهم رقاب العباد، بعد أن كانوا أذلاء في الجاهلية قبل الإسلام، لهذا حري بالمسلمين اليوم أن يتعرفوا على الإسلام جيداً، لأن من عرف حقيقة الإسلام وجوهره وطبيعته لا يمكن بحال من الأحوال أن يتأثر من الغزو الثقافي. وكذلك حري بالمسلمين أن يعملوا جاهدين على غزو العالم الغربي بثقافة هذا الإسلام، وذلك من خلال نشره وتبليغه للناس كافة وتعريفهم بحقيقته وعظمته، فهي إذاً وسيلة هجوم ثقافي للدفاع عن ثقافة المجتمع المسلم من العدوان الثقافي الغربي.

المطلب الثالث: تعرية الثقافة الغربية وكشف زيفها:

إن تعرية الثقافة الغربية وبيان زيفها وضلالها وفسادها أمر في غاية الأهمية من شأنه أن يزيد من قوة الثقافة الإسلامية وفعاليتها، ويضعف زحف الثقافة الغربية وانتشارها.

إن هذا الأمر من أقوى الوسائل التي من خلالها نستطيع مواجهة الغزو الثقافي والتحديات المعاصرة التي تواجه العالم الإسلامي، وذلك لأن أفضل وسيلة للدفاع عن النفس هي وسيلة الهجوم على الخصم. وهذا هو منهج القرآن الكريم، فقد كشف لنا عن زيف وضلال المعتقدات والثقافات اليهودية والنصرانية والوثنية وغيرها، فما ترك القرآن الكريم صورة من صور الضلال والانحلال إلا وعلق عليها وحذر منها وبين فسادها وبطلانها.

ففي بيان فساد اعتقاد النصارى في الله، قال تعالى: { لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } (المائدة: ٧٣). وعن غلوهم في عيسى عليه السلام، قال تعالى: { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ... } (النساء: ١٧١). وعن تحريف اليهود لكلام الله وعصيانهم لأوامره، قال تعالى: { مَنِ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَارْعِنَا لِيَا بِأَسِنَّتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ... } (النساء: ٤٦). وعن نسبتهم صفة البخل لله، قال تعالى: { وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ... } (المائدة: ٦٤). وعن حسد أهل الكتاب من اليهود والنصارى وحقدهم بالمسلمين، قال تعالى: { وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } (البقرة: ١٠٩). وعن بيان حال تبرج النساء في الجاهلية قبل الإسلام، قال تعالى: { وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى... } (الأحزاب: ٣٣). وعن حمية الجاهلية ودمها، قال تعالى: { إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا } (الفتح: ٢٦). كما وفضح القرآن الكريم ثقافة المنافقين وطبيعتهم وما تكنه صدورهم من عداة ومكر بالإسلام وأهله في آيات عديدة، بل سُميت سورة كاملة باسمهم وهي سورة المنافقون، كما وسُميت سورة التوبة أو براءة بالفاضة والبحوث لأنها فضحت المنافقين وبحثت عن

أسرارهم^(١) هذه بعض النماذج والأمثلة من منهج القرآن الكريم في تعرية المعتقدات والثقافات الفاسدة، فينبغي علينا الاستفادة من هذا المنهج والسير عليه في مواجهة الغزو الثقافي، خاصة وأن الثقافة الغربية في هذا العصر اجتاحت العالم الإسلامي بأفكارها وقوانينها ونظمها وأساليبها المتعددة. فصار لزاماً علينا دراسة الثقافة الغربية دراسة واعية فاحصة لحقيقتها وجوهرها ومصادرها وخصائصها وأهدافها وأساليبها وصورها، ودراسة أثرها في واقع الحياة الدينية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

إن الناظر والمتأمل في واقع الشعوب الغربية التي لا تنتمي إلى الإسلام، يدرك عريها من القيم والأخلاق الفاضلة التي جاءت بها ثقافة الإسلام، فالأسرة عندهم لا نظام لها والقبلية لا قانون لها والأمة لا دستور لها، إنما هو الطغيان يتحكم في الفرد ويسيطر على الجماعة، فالعالم في قلق شامل واضطراب شديد يتخبط في ضلالة عمياء وفي جهالة جهلاء، حتى أكل القوي الضعيف وقهر الغني الفقير، واندلعت نيران الحروب بين الأمم والشعوب، فرويت الأرض بالدماء واستغاثت الأرض بالسماء، وضربت الفوضى أطنابها في كل مكان، وتولى الشيطان قيادة الإنسان فزين له البهتان، وأقيمت الوحشية مقام الإنسانية، وحلّت الرذيلة مكان الفضيلة، وظهر شباب مائع تسيطر عليه الغريزة البهيمية يتلمس النساء الكاسيات العاريات، فانتشر التبرج والسفور وشاعت المخدرات والخمور، كل ذلك باسم الحضارة والمدنية وباسم ثقافة الحرية والتحرر.

لقد بلغ الإنسان في هذا العصر أوجاً من العظمة لم يبلغه في تاريخه كله، وبلغ من القوة والسيطرة والجبروت مدى لم يحلم به سكان الكوكب الأرضي قبل مئات السنين بل وعشراتهما، ومع هذا فإن الإنسان الغربي في جاهلية عمياء وبكماء وصماء.

وقد يظن كثير من الناس أن الجاهلية فترة معينة من الزمن كانت في الجزيرة العربية قبل الإسلام بسبب عبادة الأصنام، ولكن الجاهلية كما وصفها الإنسان حالة نفسية ترفض الاهتداء بهدي

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ٦١/٨.

الإسلام، قال تعالى: { أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ } (المائدة ٥٠). ولم يقل القرآن أن العرب كانوا في جاهلية لأنهم لا يعرفون الفلك والطبيعة والكيمياء والطب، أو لأنهم لا يعرفون النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية، أو لأنهم قاصرون في ميدان الإبداع والإنتاج، وإنما اعتبرهم في جاهلية لأنهم يحكمون أهواءهم ويرفضون حكم الله تعالى. ولهذا قصَّ القرآن الكريم علينا حضارات كثيرة في أمم مضت وكانت أكثر تحضراً من العرب حين جاءهم الإسلام، ومع ذلك اعتبرها القرآن جاهلية لأنها لا تهتدي بهدي الله تعالى، قال تعالى: { أَوْلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ } (الروم ٩). إذا فالذين يتبعون أهواءهم ولا يتبعون ما أنزل الله هم في جاهلية أيّاً كان مبلغهم من العلم البشري.

فإن كانت الجاهلية العربية القديمة تعبد أوثاناً محسوسة فإن الجاهلية الحديثة التي أنتجت الثقافة الغربية شأنها أوعر وأخبث وأخطر، فهي جاهلية العلم والبحث والدراسة والنظريات والقوانين والأنظمة، وجاهلية المكر والكيد المخطط لتدمير البشرية على أسس علمية، إنها جاهلية لا مثيل لها في التاريخ.

المطلب الرابع: استخدام التقنية الحديثة لخدمة الثقافة الإسلامية:

لقد حث الإسلام على العلم والمعرفة في كل الميادين، فقد بدأ العلم مع بداية نشأة الخليقة بأبينا آدم عليه السلام، حينما هبط من الجنة إلى الأرض ليعمرها، وكان مزوداً بجميع أنواع العلم التي تكفل له حياته على الأرض، قال تعالى: { وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } (البقرة ٣١)، والذي يقتضيه لفظ (كلها) الإحاطة والشمول، ولهذا جعل الله تعالى العلم الحجة البالغة على الملائكة حين بدا لهم أن تسيبهم وتقديسهم لله يؤهلهم لخلافة الأرض وعمارتها، بأنه علم آدم الأسماء وطلب منهم الإنباء بها، فلما

عجزت الملائكة عن ذلك، دلّ على أن آدم عليه السلام إنما استحق الخلافة في الأرض بما أوتي من العلم.

لهذا أكد القرآن على أهمية العلم والمعرفة، فلو تأملنا كلمة العلم ومشتقاتها في القرآن الكريم نجد أنها بلغت سبعمائة وثمانين مرة، فقد أشار القرآن الكريم إلى جوانب علمية ومعرفية متعددة ليأخذ بيد الإنسان نحو عمارة الأرض بكل ما أوتي من وسائل العلم المتوفرة. كما أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أكد على أهمية العلم وشرف العلماء في أحاديث كثيرة.

لهذا أصبح لزاماً على المسلمين أن يواكبوا التقدم العلمي والحضاري وأن يستخدموا كل وسائل التقنية الحديثة للتقدم السريع خدمة للإسلام وثقافته، ونضرب لذلك مثلاً واحداً من وسائل التقنية التي تفيد في خدمة الثقافة الإسلامية.

وهو شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) وما يلحق بها، فمن فوائدها:

أولاً: الحصول على برامج عديدة في العلوم والمعارف المتنوعة سواء في الفقه والحديث والتفسير واللغة وغيرها، إضافة إلى تحميل المصنفات العديدة بلغات مختلفة على أجهزة الحاسوب، خاصة أن إثبات العقائد يتطلب استحضار عدد كبير من الأدلة والبراهين، لهذا يمكن للحاسوب أن يحفظ كمّاً كبيراً من الأدلة والبراهين والمناقشات والحوارات، مع تصنيف ذلك على الموضوعات.

ثانياً: أن الحاسوب وشبكة الإنترنت يصل إلى كثير من الناس الذين لم تبلغهم دعوة الإسلام، لوجودهم في بلاد منغلقة جغرافياً أو إعلامياً أو ثقافياً، أو لتقصير الدعاة والعلماء، خاصة إذا ما أتقنت هذه البرامج وخضعت لرقابة علمية دينية، كي تنقل المفاهيم الصحيحة عن الإسلام وثقافته، وبذلك تتخطى شبكة الإنترنت الحواجز الزمانية والمكانية^(١)

ثالثاً: أن المادة العلمية التي تخدم الثقافة الإسلامية يمكن التوصل لها متى شاء الباحث دون كلفة أو عناء، فالإنترنت لا يكلف عشر معشار ما تكلفه الوسائل التقليدية الدعوية البدائية، وهذه

(١) انظر: تقنيات الاتصال بين زمنين إياد شاكركري ص ١٢٦، دار الشروق بالأردن، ط الأولى ٢٠٠٣م.

ميزة هامة يختص بها، خاصة مع إقبال الناس الشديد على استخدام الإنترنت، فقد أصبح الإنترنت اليوم من أهم المراجع والمصادر التي يرجع إليها الباحث.

رابعاً: سهولة استخدام الإنترنت فهو لا يحتاج إلى خبرة معلوماتية كبيرة، بل يحتاج إلى مبادئ أولية تساعده في التعرف على البرامج، ثم بعد ذلك بالممارسة والمتابعة والتطوير يصبح التعامل مع هذه التقنية أمر ممتع.

خامساً: ...تمكين علماء الإسلام ودعاته من فتح ثغرات في جدار العدو، من خلال إسلام أهله أو تحييدهم عن إعاقة الدعوة الإسلامية ومحاربتها، وبالتالي يقف العدو حائراً بين المسلمين سواء كانوا داخل أرضه أو خارجها وبين إقناع أهله بعدم عداوة الإسلام والمسلمين^(١)

هذه بعض الفوائد لوسيلة واحدة من وسائل التقنية الحديثة التي يمكن تسخيرها لخدمة الإسلام وثقافته، خاصة وأن الأمة الإسلامية تملك طاقات هائلة وبيدها مقومات عديدة، لكن ينبغي التنبيه على أن الإنترنت ذو حدين، إن وظف في نشر العلم والخير وتثبيت العقيدة الإسلامية وتدعيم القيم والأخلاق فعندها يكون وسيلة للبناء، وإذا وظف لأجل ترسيخ الفساد والانحراف ونشر الميوعة والانحلال يكون حينها وسيلة هدم ودمار.

المطلب الخامس: إيجاد إعلام إسلامي هادف:

الإعلام الإسلامي هو عملية الاتصال التي تشمل جميع أنشطة الإعلام في المجتمع المسلم، وتؤدي جميع وظائفه المثلى الإخبارية والإرشادية والترويحية على المستوى الوطني والدولي والعالمي، وتلتزم بالإسلام في كل أهدافها ووسائلها وفيما يصدر عنها من وسائل ومواد إعلامية

وثقافية وترويحية، وتعتمد على الإعلاميين الملتزمين بالإسلام قولاً وعملاً، وتستخدم جميع

(١) انظر: تجديد الخطاب الديني في ضوء الواقع المعاصر محمد منير حجاب ص ٣٢١-٣٢٢، دار الفجر بالقاهرة، ط الأولى ٢٠٠٤م.

الوسائل وأجهزة الإعلام المتخصصة والعامّة^(١).

ولو نظرنا إلى القرآن الكريم لوجدناه كتاباً سماوياً إعلامياً، تفرد بطريقته في عرض الوقائع وتقرير الأحداث، فله أسلوب خاص في التربية والتعليم والتوجيه والإرشاد، فقد تميز الإعلام القرآني بالبيان المعجز والتنوع في الأداء والواقعية في الحوار والتزام الصدق والمواجهة الصريحة والاهتمام بالسلوك والشمول لمختلف القضايا وتقديم الحقائق العلمية المسلم بها.

ثم إن الحديث الشريف لا يقل أهمية عن القرآن الكريم فيما يتعلق بالإعلام الإسلامي، فالرسول - صلى الله عليه وسلم - يعتبر صاحب الرسالة الإعلامية العالمية الأولى، وهو النموذج المثالي المبلغ لها، وقد استخدم وسائل متعددة في الإعلام أهمها:

أولاً: المسجد، وهو يعتبر من أهم وسائل الإعلام الجمعي، فلو قام المسجد برسائله لكان أعظم أجهزة الإعلام الإسلامي، وأكبر دليل على أنه أعظم مؤسسة إعلامية إسلامية عرفها المسلمون، حرص الرسول - صلى الله عليه وسلم - على إقامة المسجد الأول في الإسلام في أول يوم وطئت فيه قدمه تراب المدينة المنورة.

ثانياً: الخطبة، سواء كانت خطبة الجمعة أو العيدين أو الكسوفين أو الاستسقاء، وهي نوع من الاتصال الجمعي، اعتمد عليها - صلى الله عليه وسلم - اعتماداً كبيراً في نشر تعاليم الإسلام، وفي الحث على عمل الخير والتحذير من عمل الشر، لهذا فإن دراسة خطب النبي - صلى الله عليه وسلم - من الناحية الإعلامية من العناصر الهامة في نظرية الإعلام الإسلامي.

ثالثاً: فريضة الحج، وهي من الوسائل الإعلامية الخاصة بالإسلام، والتي لا تناظرها وسيلة أخرى، فالحج هو المؤتمر الإسلامي العالمي الأكبر، يلتقي فيه المسلمون من مشارق الأرض ومغاربها مع اختلاف ألوانهم ولغاتهم وأقطارهم.

لقد أصبح الإعلام الإسلامي في هذا العصر فريضة شرعية وضرورة واقعية، وذلك لأن أعداء الإسلام يغزون بلاد المسلمين فكراً وثقافياً ودينياً عن طريق الإعلام، ويسخرون كافة طاقاتهم

(١) انظر: أصول الإعلام الإسلامي إبراهيم إمام ص ٣١-٣٤، دار الفكر العربي بالقاهرة.

وقدراتهم المادية وغيرها خدمة له لتحقيق أهدافهم وطموحاتهم. لهذا أصبح لزاماً على المسلمين أن يعملوا جاهدين بكل ما أوتوا من طاقات وقدرات على إيجاد إعلام إسلامي هادف يهتم بعدة أمور أهمها:

أولاً: بيان عقيدة التوحيد والعبودية الحقّة الخالصة لله تعالى، وتعاليم الإسلام وآدابه وأخلاقه الكريمة الفاضلة، وتعريف الناس بها وحثهم على فعلها. ونشر الثقافة الإسلامية المؤسّسة على القيم الدينية والنظم الإسلامية والمعارف العلمية، التي تلبّي حاجات الناس واهتماماتهم. والامتناع عن كل ما يمس الآداب العامة أو يوحي بالانحلال الخلقي، أو يرغب في الجريمة والعنف، أو يثير الغرائز والشهوات.

ثانياً: إلقاء الضوء على قضايا المسلمين المعاصرة كالقضية الفلسطينية والمذابح التي ارتكبتها الصهاينة في دير ياسين وصبرا وشاتيلا وقانا، وما يرتكبونه الآن من جرائم متواصلة، وكذلك القضية العراقية واللبنانية والأفغانية والشيشانية وغير ذلك من قضايا العالم العربي والإسلامي، وذلك من خلال عرضها بأفلام وثائقية وسينمائية بجميع اللغات، مع تحليلها وإيجاد الحلول الناجحة المناسبة لها.

ثالثاً: بيان التحديات التي تواجه الإسلام والمسلمين وخطرها الديني والثقافي والسياسي والاقتصادي والاجتماعي على الحياة الإسلامية، وتعرية الحضارة الغربية والرأسمالية بمفاهيمها المنافية للإنسانية، وأفكارها القائمة على العلمانية بإقصاء الدين عن سائر مجالات الحياة، وتعرية الحضارة الشيوعية والاشتراكية القائمة على الإلحاد والتتكر للقيم والمبادئ الأخلاقية^(١).

رابعاً: إخضاع سائر البرامج الدينية والتاريخية والسياسية والفنية للرقابة الدينية والثقافية، والتدقيق في كل ما يُبث ويُذاع حتى لا تؤدي هذه البرامج إلى نتائج سلبية، وإنما تحقق الهدف والمصلحة المرجوة.

(١) التخطيط الإعلامي في ضوء الإسلام محمود كرم سليمان ص ٦٢، دار الوفاء بالقاهرة، ط الأولى ١٤٠٩ -

خامساً: إصدار صحف ومجلات إسلامية عالمية، ونشر الكتب الدينية التي ألفها العلماء في جميع التخصصات، وكذلك الكتب القصصية والمسرحية الهادفة، وبت قنوات فضائية بمختلف اللغات الأجنبية توضح للرأي العام العالمي تاريخنا الإسلامي المشرق وحضارتنا الثقافية.

سادساً: ...إخراج أفلام ومسلسلات ومسرحيات تليفزيونية إسلامية تعرض الإسلام بجوهره وحقيقته وأصالته، وتعالج قضايا المسلمين المختلفة، وتحكي لنا عن حياة العظماء من القادة والمجاهدين والعلماء، مع مراعاة الدقة العلمية والموضوعية والحفاظ على الضوابط والآداب الإسلامية.

سابعاً: المحافظة على اللغة العربية والحرص على سلامتها من الألفاظ والمصطلحات الدخيلة عليها، ونشرها بين أبناء الأمة وخاصة بين الأقليات الإسلامية.

ثامناً: الاهتمام ببرامج الأطفال نشرًا وإذاعةً وبتاً بما يتناسب مع واقع المجتمع العربي والإسلامي وانسجاماً مع تاريخه الحضاري وثقافته الدينية، بهدف إخراج جيل قادر على تحمل المهام والمسئوليات في المستقبل، وإشغاله ببرامج نافعة عن تأثير برامج الثقافة الغربية. وكذلك الاهتمام ببرامج الشباب الخاصة وإجراء حوارات معهم، بمشاركة خبراء مختصين في المجالات التي تعين الشباب على فهم واقع الأمة وما يحاط بها من مكائد ومخاطر، وتحفيزهم على المشاركة الفاعلة والواعية في بناء مستقبل الأمة والنهوض بها. وكذلك الاهتمام ببرامج المرأة وما يخصها في حياتها الأسرية، كتربية الأطفال وتنشئتهم على القيم والأخلاق.

وحتى يكون الإعلام ناجحاً لا بد من التأكيد على عدة أمور:

ضرورة الإعداد والتأهيل للإعلاميين إعداداً علمياً وفكرياً وتربوياً، حتى يكونوا قادرين على إنجاز مشروع الإعلام الإسلامي.

أهمية إقامة مراكز للبحوث والدراسات الإعلامية لمتابعة الواقع الإعلامي وتطويره، حتى تكون مصدر إشعاع ونور، وتنظيم لقاءات دورية داخل كل دولة يلتقي فيها الإعلاميون لمناقشة الموضوعات ذات الاهتمام البالغ، لتوحيد المواقف اتجاه القضايا الإعلامية.

ضرورة رصد الجوائز والحوافز المشجعة للإنتاج الإعلامي المتفوق في مختلف فروع الثقافة الإسلامية، مع غرس روح التنافس الإيجابي بين الإعلاميين وبين القنوات الفضائية.

وجوب نشر الإعلام الإسلامي في العالم كله على أوسع نطاق ممكن، حتى لا يبقى منغلقاً على نفسه وحتى لا يتسم بالانعزالية، مع تطعيمه دوماً بالثقافات المعاصرة التي لا تتصادم مع مبادئ الإسلام ولا تخالف أصوله.

ضرورة تصحيح الفهم الخاطئ الذي يعتبر أن التفاز والسينما والمسرح كلها وسائل محرمة على إطلاقها وعمومها، والذي حمل أصحاب هذا الفهم على تبنيه هو أن هذه الوسائل في معظم البلدان العربية والإسلامية تعرض أفلاماً ومسلسلات ومسرحيات ساقطة، فهذه الوسائل هي جزء من الإعلام والحكم الشرعي يبني على ما يُبَيِّث ويُذاع فيها^(١).

المطلب السادس: إعادة صياغة المناهج التربوية والتعليمية:

إن المراد بالمناهج التعليمية والتربوية، تلك المناهج التي تعني بتنشئة الطفل وتكوينه إنساناً متكاملًا من جميع نواحي الحياة الصحية والعقلية والروحية والأخلاقية، في ضوء المبادئ والأساليب والطرق التربوية التي جاء بها الإسلام^(٢).

فالمناهج التربوية والتعليمية لها دور هام في بناء ثقافة الفرد المسلم، سواء في مرحلة الطفولة وهي مرحلة التهيئة والتأسيس، أو في مرحلة الشباب وهي مرحلة الاضطراب والتذبذب في العلم

(١) انظر: العولمة والثقافة الإسلامية محمد الجوهري ١٢٨، دار الأمين بالقاهرة، ط الأولى ١٤٢٥-٢٠٠٥.

(٢) التربية الإسلامية الحرة في الحكومات والبلاد الإسلامية أبو الحسن عي الحسن الندوي ص ١٠، ط الأولى

والمعرفة، أو في مرحلة الشيخوخة وهي مرحلة الجمود والاستقرار العلمي والمعرفي. ولأهمية هذه المناهج في صقل الشخصية نرى أن الغزو الثقافي يركز عليها في هجومه واستهدافه للمسلمين وثقافتهم، فينبغي التنبيه لكل المخططات والمؤامرات التي تحاك ضد المناهج التربوية والتعليمية في بلاد المسلمين، فإن الاستعمار فرض بغزوه الفكري على بلاد المسلمين مناهج تتناسب مع الثقافة الغربية، حيث وقع الشرق الإسلامي في حضنة التربية الغربية ونظمها التعليمية ومناهجها الفكرية وقيمها ومثلها العليا ونظرتها للعلوم والآداب^(١)، ولهذا فإن التحديات التي تواجهنا اليوم في مجال التربية والتعليم تتمثل في أمرين:

الأول: التبعية للغرب في علومه المصتبغة بفكره وعقيدته ونظرته إلى الحياة والأحياء.

الثاني: ...الجمود والتقليد اللذان ورثناهما من العصور الخالية في مجال العلم والتأليف والتدريس^(٢).

لهذا ينبغي أن تكون مناهجنا التربوية والتعليمية مبنية على أساس قوله تعالى: { هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ } (الجمعة ٢). فهذه الآية القرآنية الكريمة جامعة مانعة تدل على الغاية التي من أجلها بعث الله تعالى نبيه - صلى الله عليه وسلم -، والمعلمون والمربون هم ورثة النبي - صلى الله عليه وسلم -، لهذا ينبغي أن تكون غايتهم كغايتته، وطريقتهم في التربية والتعليم كطريقته. وحتى تؤتي المناهج التربوية والتعليمية أكلها وثمارها لا بد من العمل بما يلي:

أولاً: ينبغي أن تكون تلك المناهج شاملة متكاملة تلبي احتياجات الحياة ومتطلبات العصر، بما يتناسب مع تعاليم الشريعة الإسلامية. وأن تكون مناهج تأصيلية قادرة على تجديد الحياة العلمية

(١) انظر: نظم التعليم بين واقعها ومحاولة تطويرها محمد منير موسى ص ١٤١، مركز البحوث التربوية جامعة قطر، ط الأولى ١٩٨٤م.

(٢) محاضرات إسلامية هامة عمر سليمان الأشقر ص ١٥٨، دار النفائس بالأردن، ط الأولى ١٤١٨-١٩٩٨.

وتغيير ما ران على المجتمعات من مفاهيم خاطئة^(١).

ثانياً: ينبغي على المسؤولين في التربية والتعليم في بلاد المسلمين إعداد المعلمين الأكفاء، إعداداً تربوياً علمياً يؤهلهم لتأدية رسالتهم على أكمل وجه، وذلك من خلال الدورات العلمية والتربوية المكثفة.

ثالثاً: ينبغي على المسؤولين في التربية والتعليم الاستفادة من المناسبات الدينية والتاريخية، في تنمية التربية الروحية عند التلاميذ، من خلال دراسة هذه المناسبات وعرضها وتحليلها ومقارنتها بالواقع الذي يعايشه المسلمون اليوم.

رابعاً: ينبغي على المؤسسات التربوية والتعليمية أن تعمل على ترسيخ العقيدة والإيمان في نفوس التلاميذ، حتى ينشأ جيل رباني يواجه التحديات الثقافية وغيرها من منطلق علمي ومعرفي. لهذا ينبغي أن تكون مناهج التربية والتعليم مستمدة من منهج التربية الرباني المتمثل في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

خامساً: ينبغي إعادة النظر في المواد العلمية والتربوية المقدمة للتلاميذ، وتطويرها بعيداً عن الضغوط الخارجية المطالبة بتطبيع المناهج بما يتناسب مع الثقافة الغربية، وتمييع القيم والأخلاق الإسلامية.

(١) انظر: مناهج التربية الإسلامية ماجد عرسان الكيلاني ص ١٦، مؤسسة الريان بيروت، ط الأولى ١٤١٩ -